ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون . وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ، ومن هؤلاء من يؤمن به ، ومايجحد بآياتنا إلا الكافرون . وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون . وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين . أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)[1] .

ما أظننا فى حاجة إلى التعليق على هذه الآيات بأكثر مما تدل هي عليه دلالة صريحة واضحة . فالكتاب ثم أهل الكتاب ، وما أنزل على الرسول عليه السلام وما أنزل عليهم من آيات الله البينات ، ثم المؤمنون بها والجاحدون من الكافرين ... كل هذا ما لا يمكن أن يفهم منه من قريب أو بعيد أن هناك كتباً أدبية كان من الممكن أن تسلك سبيلها إلى المثول بين يدى الرسول عليه السلام ، وإن كان لم يطلع عليها ولم يخطها بيمينه . وعلى ذلك فقد كان على الدكتور زكى مبارك أن يبحث عن دلائل أقوى ، فلا يكتفى بالفكرة الطائرة ليحيطها بهالة أكبر منها ، ولعل انعدام هذه الدلائل هو الذى دفع الكاتب إلى أن يتشبث كما نرى بأوهي الأسباب .

ومهما يكن من أمر فإن الجانب الأساسى الذى يهمنا الآن من الموضوع هو أن الكاتب لا يكتفى بمسألة الكتب الأدبية التى مرت ، وإنما يؤكد وجود المؤلفات النثرية فى الجاهلية ، ويرى « أن فقدان تلك الآثار لا يكفى لإنكار أنه كان لها نصيب من الوجود » ، ويقول : « على أن فى القرآن

---

(١) سورة العنكبوت ـ آية ٤٥ ـ ٥١ .